حديث عن القاطرات .. واشياء اخرى مماثلة

● كتب سمير نصري في صحيفة «النهار» لمحة من كورسيكا جاء فيها :

« اتيح لي امس ان اتعرف على وثيقة ثمينة فريدة . ففي عرض خاص شاهدت شريطا سينمائيا من اثنتي عشر دقيقة عن فلسطين في ١٨٩٦ ، هو ملك متحف افلام لبون . صوره فريق لوي لوميير سنتين بعد اختراع الاخوين لوميير للسينما ، وبدأ بلقطة لقطار وسط جبال . انه قطار يافا ـ القدس . يصل القطار الى القدس، وبقية الفلم عن شوارع القدس ، وخاصة اسواقها حيث المتاجر والباعة العرب . والفلم عن سكان المدينة اكثر مما هو عن المباني. هناك باعة متجولون للسمك وللفواكه وللاقمشة وحمالو ماء وباعة مرطبات ، ومارة ينظرون الى العدسة ويشيرون نحوها ضاحكين. وفي النهاية مجموعة من بعضهم على بعض .

واخيرا القطار ايضا ، وآلكاميرا عليه تبتعد تاركة المدينة وراءها ، في واحدة من اولى حركات (الشاريو) في تاريخ السينما .

امل ان يدرك المهتمون بالشؤون الفلسطينية اهمية الوثيقة الفريدة . هل يفكر احدهم بالاتصال بالدكتور بول جينار ، مدير متحف لبون في فرنسا ؟ »

نحن فكرنا واتصلنا بالدكتور جينار . طلبنا منه نسخة من هذه الوثيقة مع استعدادنا لدفع التكاليف . يهمنا جدا ان نشاهد الفلسطينيين في ذلك الزمن ويهمنا ان نحتفظ بالوثيقة ايضا ..

والشيء بالشيء يذكر .. فالحديث عن قطار يافا ـ القدس ذكرني بقطار ثان ، فلقد اطلعت انا الاخر على وثيقة من جملة وثائق عن النزوح في عام ١٩٤٨ من خلال مذكرات احد المقاتلين . يقول ذلك المقاتل في مذكراته انه وعائلته والاخرين وصلوا بيروت وتركين وراءهم الارض وما عليها في ظروف ملأى بالاحزان والاسى ، ولدى وصولهم رفض البوليس قبولهم كلاجئين فاخذوهم الى محطة قطار لنقلهم الى جهة ثانية لم يكن يعرفها. لم يكن القطار يتسع لجموع النازحين. صعد بعضهم فيما بقي الاخرون بانتظار قطار اخر ، وضمن هذه الحالة المرة انقسمت اكثر من عائلة الى قسمين ، وكنت تسمع ومع صرخة القطار وصراخ النسوة كلمات ... ـ راسلونا .. عرفونا على عنوانكم .. لا تقطعوا الاخبار عنا .. اكتبوا لنا شيئا .. اعتن بالصغار..

كانت الاصوات تدق في رأس الرجل وكان ماخوذا . ويقول : تطلعت الى ساعتي واردت ان اوقف دوران العقارب .. كسرتها ، وكان العقار يركض نحو اللامكان ، احس الرجل بان كل شيء ضده ، الناس ، واعدة الكهرباء ، والشمس ، وآلوديان، والمرتفعات .. اخرج مسدسه من سلة الملابس واطلق عدة اطلاقات نحو الشمس ، وكان يحس انه يستطيع كسرها او احداث تشويه فيها وكانها شيء مصنوع من الخزف ومعلق في السماء ليشهد حالته بشكل مقصود . كل الامور بدت عنده غير طبيعية لان الحالة لم تكن تمت للطبيعة والمنطق باية صلة .. فهم خارج الزمن .. خارج التاريخ.. خارج المالوف.

تناثرت العوائل بعدها :

الام في دمشق
الابن في برلين
الاب في الخليج العربي
.. وهكذا ...

بعد سنوات كبر الصغار واختلفت تقاطيع الوجوه ..
ومن جديد .. التقوا ثانية ..
جمعتهم الثورة .
لمت شملهم البندقية .

حبل الكذب .. معقد !

غريب امر « الاهرام » مع الناس !
اما انها تعتقد ان ذاكرة الناس ضعيفة او ان ذاكرتها هي ضعيفة للغاية !
قبل فترة نشرت خبرا على الصفحة الاولى يقول ان نيكسون رفض مقابلة غولدا مائير ، وجاء نشر ذلك الخبر بمثابة « تبشير » العرب بان واشنطن صحت ذات صباح فاذا بانياب الضمير تاكل اصابعها ندما ، واذا بها تقرر ان لا ترمي اكثر فاكثر على اقدام المطالب الاسرائيلية ..

ومع ذلك ، فان الخبر من اساسه كاذب تماما ، وقد نشرت كل صحف العالم ان غولدا مائير تستعد للذهاب الى امريكا ، وان نيكسون يستعد لاستقبالها .
وبين الذين نشروا الخبر هذا ، الذي اكدته واشنطن وتل ابيب معا ، صحيفة « الاهرام » ذاتها !..

مرة صعدت في عربة متجها من البصرة القديمة نحو باب الزبير في زيارة لاحد الاصدقاء . والحوذي شخصية طريفة ، غير عدائية ، متاملة في ذات الوقت ، وهو اذ يتحدث اليك فلا يتطلع نحوك انما يتحدث ونظراته الى الامام وكانه يحدث الخيول .. بينما كان يلوح بالسوط طفرت منه جملة .. قال :

« كل شيء سيء لا بد وان يتغير نحو الاحسن ، والا فان هناك خطأ في تركيب الحياة » .

جملة معقولة جدا في زمن غير معقول ابدا !

الى « ن »

الليل .. هذا المعب الحزين
والكاهن الذي لا يعرف الصلاة
والنادل الثمل في الحانة المجهولة .

الليل .. هذا الزنجي الحليبي القلب
المتهم الوحيد الذي لا يدافع عن نفسه
والذي لا يعرف لعبة الفراشة مع الزهور
الليل .. هذا الصاخب الذي يتفجر دما وقيما
هذا الوديع الحالم عبر سموات الثلج
هذا المقاتل في فيتنام والفدائي الفلسطيني
الليل .. هذا الاول والاخير
المهزوم والمنتصر
العازف والمستمع
الليل .. هذا ابن مدينتي الهارب من وجه المخاوف
هذا الذي ينتظر كل يوم اشارة البدء والانتهاء
ويخجل من دموعه ولا يعرف كيف يبرر ذلك
الليل .. هذا الذي سمعته يصرخ وقت الظهر ذات يوم صيفي ،
طالبا اجازة للراحة والاستجمام ،
وسمعته يبكي قبل غروب الشمس كالمراة
ويرفض المثول امام المحكمة .
الليل .. هذا الجالس قرب صناديق القمامة .
هذا القاتل والمقتول
والشاهد الوحيد والحاكم الوحيد
والاسير المكبل باصفاد الزمرة الخائنة
الليل .. هذا النسل عبر الحدود دونما جواز سفر
والعاشق الفاشل الذي لا يجرؤ على الانتحار
الليل .. هذا التوحد التوحد .. صديقي .

شاهدت قبل ايام فيلما وثائقيا في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، لكن بناء الفيلم واسلوب معالجته مطروحان من وجهة نظر غير ثورية ، فعندما ينتهي عرض الفيلم تحس انك كنت ضمن موضوع ظريف مضحك حينا ومثيرا للعطف المترف حينا آخر ..
الفن سلاح ذو حدين ،
والسينمائيون الشباب مسؤولون عن استعمال الحد الذي يظن الامبريالية في الصميم ..
قال لينين : « ان من بين الفنون ، السينما هي الاهم » .

والشيء بالشيء يذكر ، فان مهرجانات السينما تنعقد دونما مشاركة فلسطينية ، وفلسطين هذا العام ستشترك في مهرجان لايبزغ للافلام الوثائقية بفيلم « النهر البارد » قدمته للمهرجان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

وبالمناسبة ، فالحديث عن مهرجان لايبزغ ، ذكرني بحديث ادلى به المخرج الكوبي « الفارس » خلال اجتماع عقدته معه الوفود العربية عام ١٩٦٨ وفي لايبزغ ..
سألناه بعد ان تحدث عن المباشرة في الفن ، فاجاب : ان رأيي هو ان يستعمل الفنان كل الاساليب التي توصله الى تحقيق عمل ثوري يخدم الجماهير ويسهم في تحقيق تطلعها نحو مجتمع حر وسعيد .

لحظة !

« .. ان تجربة التاريخ تقول لنا ان جميع الثورات قد شهدت دائما ، حين كانت تقوم بانعطاف سريع ، وتنتقل من الانتصارات الباهرة الى طور من الهزائم الشفيعة ، شهدت مرحلة من الجمل الثورية الكاذبة ، انزلت كل مرة ضررا فادحا جدا بتطور الثورة »
(لينين)